خاتم النبيين والهجمات الخارجية

The Last Prophet and External Attacks

Nabi Terakhir dan Serangan Luaran

أسماء أكلي*، وراضية باشوش**

الملخّص

تناول هذا البحث بالدراسة واحدة من أهم معضلات العالم الإسلامي وهي الاعتداء على رموزه من خلال سب نبيها محمد ﷺ والاستهزاء به، فكان من الواجب أن يكون هناك بحث موضوعي يرد ويسدد ويوجه مسار مواجهة هذه التعديات، فجاء هذا البحث موضحا أحد أساليب مواجهة الدعوة في القديم والحديث، مبينا مخالفتها للنظم والمعايير الأخلاقية والذوق الحضاري، وبيان حكمها ليس في التشريع الإسلامي فقط، وإنما في الدساتير والمواثيق الدولية. وقد خلصت الدراسة إلى بيان أساليب الرد في الصدر الأول من الإسلام، وكذلك زمن الصحابة رضي الله عنهم، والعصر الحاضر، منتهية باقتراح خطة حكيمة لصد هذا العدوان.

الكلمات المفتاحية: السب، الاستهزاء، الرسول، المقدسات الدينية، الهجمات الخارجية.

Abstract

This paper addresses one of the main problems of the Muslim world, namely the insulting and mocking of the Prophet Muhammad (s.a.w.), which may be viewed as acts of aggression directed at Islam through its symbols of sanctity. There is currently no objective research on how such acts of aggression should be responded to, corrected, and averted. This study focuses on one of the methods used in the propagation of Islam, both in the past and in the present: namely by explaining how the mocking and insulting of other religions is in conflict with civilisational standards of ethics and decency, and by elaborating on this principle of mutual respect and tolerance as it is understood not only in Islamic law but also in international covenants and conventions. In addition, the study discusses methods of rebuttal that have been used throughout the history of Islam, dating from the time of sahabah to the present era, and proposes a strategy for averting and repelling such forms of religious aggression.

* أستاذة قسم الفقه وأصوله، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية– ماليزيا.

** طالبة دكتوراه في الفقه وأصول الفقه الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية.

Key words: Thee Last Prophet, Insults, Ridicule, Religious Sanctities, External Attacks.

Abstrak

Kajian ini mengkaji salah satu masalah utama dunia Islam yang merupakan serangan ke atas simbolnya dengan menghina dan mengejek Nabi Muhammad (saw). Ada keperluan untuk satu kajian objektif mengenai perkara ini yang harus bertindak balas, membetulkan, dan mengarahkan bagaimana untuk menghadapi serangan ini. Kajian ini memberi tumpuan kepada salah satu kaedah yang digunakan dalam kedua-dua penyebaran lama dan baru, menjelaskan bagaimana ia bercanggah dengan sistem dan standard etika dan kesopanan peradaban, dan menghuraikan lebih lanjut hukumnya yang bukan sahaja dalam undang-undang Islam, tetapi juga dalam perjanjian antarabangsa dan konvensyen. Kajian ini merangkumi perbincangan mengenai kaedah bantahan seperti yang terdapat dalam sejarah awal Islam, semasa zaman sahabat, dan era sekarang, mencadangkan pelan bijak untuk menangkis kekerasan ini.

Kata Kunci: Nabi Terakhir, Penghinaan, cemuhan, kesucian Agama, Serangan Luar.

المقدمة

الحمدلله رب العالمين، القادر على عباده وممكن دينه في الأرض ولو كره الكافرون، وبعد فإنّ الدّارس لجوهر الإسلام وتعاليمه يدرك تمام الإدراك أن من اعتنق هذا الدين لابد له من محك يصقل فيه، ليميز الله الخبيث من الطيب، فهو القائل: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾. [العنكبوت:1-3] فمن خصائص هذا الدين الابتلاء، ومما ابتلى الله به هذه الأمة هجمات أعداء الدين على مبادئه ورموزه، فكان الاستهزاء بشعائره والقدح في أحكامه مستدلين بنصوص فهموها كما أرادوا، وسوقوها للعالم على أنهم ناقلون شرفاء، ولكن الخبث والضغينة في قلوبهم ظلت تدفعهم حتى باحوا بمكنونات أنفسهم وكوامنها، فصار الاستهزاء والسّب علنا في تصريحاتهم وعلى قنواتهم، وفي منتجاتهم الإعلانية. فكانت رَدة فعل المسلمين ككل مرة التنديد والمسيرات، التي أثبتت فشلها في صد هذه الهجمات وكانت كصيحات مدوية في واد سحيق. فوجدنا أنه من الواجب أن تكون لنا مساهمة في تقويم هذا المسار بما يفتح

الله به علينا في هذا الموضوع لعلنا نساهم بوضع لبنة في السّد العالي الذي يصدّ هذه الهجمات وذلك باستنباط الحلول لمواجهة مثل هذه القضايا المستجدة زمانا المتجدرة تأصيلا في تراث الأولين من خلال التأصيل الشرعي.

السّبّ والاستهزاء وعلاجه في صدر الإسلام

تعرض الإسلام في شخص نبيه محمد ﷺ إلى معارضة شديدة من قبل المشركين، الذين واجهوه بكل الطرق والأساليب من أجل إيقاف دعوته، حيث استعملوا اللين تارة من خلال عروض المال والجاه، والتجؤوا إلى القوة بعدها فكانت سلاحهم على اختلاف صورها ومن هذه الأسلحة السب والسخرية والاستهزاء بالنبي ﷺ.

الاستهزاء في الصدر الأول وأساليب الرّدّ

إذا تأملنا قول الله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾. [البقرة:256] نجد أن الإسلام رفع الإكراه عن المرء في عقيدته، وأقر أن الفكر والاعتقاد لا بد أن يتسما بالحرية، وأن أيّ إجبار للإنسان، أو تخويفه، أو تهديده على اعتناق دين أو مذهب أو فكر باطل ومرفوض،لذلك قال تعالى: ﴿**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾. [يونس: 99]، وقال أيضا: ﴿**أَفَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ**﴾. [الغاشية:21، 22] كل هذه الآيات وغيرها، تنفي الإكراه في الدين،ولعل موقف الإسلام الذي حواه التاريخ تجاه أهل الذمة، وكيف سار على نهجه وخطاه الصحابة رضوان الله عليهم. من دواعي فخرنا واعتزازنا، وسماحة إسلامنا.

سماحة الإسلام بين العقوبة والعفو

لم يكن صدر الإسلام مفعما فقط بالسماحة، بل إنه كذلك حمل معه العقوبة بما يتناسب والجريمة، وذلك بعد أن قويت شوكة الإسلام، وخاصة مع الذين جاوزوا الحد في الإيذاء والتعدي على حرمات الإسلام وحق الدولة الإسلامية، ومن أمثلة ذلك:

عن محمد بن أبي عبس عن أبيه عن جده قال: كان كعب بن الأشرف يقول الشعر، ويخذل عن النبي ﷺ، ويخرج في غطفان، فقال النبي ﷺ: «من لي بابن الأشرف، فقد آذى الله ورسوله»، فقال محمد بن مسلمة الحارثي: أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ فصمت رسول الله ﷺ، ثم قال: «إيت سعدا فاستشره» قال: فجئت سعد بن معاذ فذكرت ذلك له، فقال: امض على بركة الله، واذهب معك بابن أخي الحارث بن أوس بن معاذ، وبعباد بن بشر الأشهلي، وبأبي عبس بن جبر الحارثي، وبأبي نائل سلكان بن قيس الأشهلي، قال: فلقيتهم، فذكرت ذلك لهم فجاءوني كلهم إلا سلكان...»[1].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: «**هجت امرأة** من خطمة النبي ﷺ فقال: من لي بها؟ فقال رجل من قومها: أنا يا رسول الله، فنهض فقتلها، فأخبر النبي ﷺ فقال: لا ينتطح فيها عنزان»[2].

وقد اشتملت سيرته ﷺ العطرة على مواقف تستحق عقوبة القتل، ولكنه عفا ﷺ بحلمه، وتسامحه، فقد جاء في المستدرك: «وأن ما لا يسع العالم جهله من ذلك الوقوف على السبب الذي حدث ذلك منه، وهو شأن عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهو ابن خالة عثمان بن عفان، والوليد بن عقبة ابن أبي معيط، وهو أخو عثمان لأمه، فأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فإن الأخبار الصحيحة ناطقة بأنه كان كاتبا لرسول الله ﷺ، فظهرت خياناته في الكتابة، فعزله رسول الله ﷺ، فارتد عن الإسلام،

---

[1] أبي عبد الله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، (الرياض: دار الحرمين، ط1، 1417هـ / 1997م)، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر مناقب محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه، ح 5912، ج 3 ص 534.

[2] انظر الرواية كاملة عند: ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن عبد الله، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1418هـ / 1997م)، ج51، ص 224، 225.

ولحق بأهل مكة، فكان رسول الله ﷺ أباح دمه يوم الفتح، فلم يقتل حتى جاء به عثمان بن عفان، وقد راجع الإسلام فآمنه رسول الله ﷺ وحقن دمه»[3].

مواقف الصحابة والتابعين

تباينت مواقف الصحابة رضوان الله عليهم بين السماحة والحزم إلا أنها كانت تجنح للصرامة أكثر منها إلى اللين ومن ذلك أن أبا بكر رضى الله عنه يوصي الجيوش الإسلامية بقوله: "وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم"[4]، ونجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى معاهدة لأهل القدس تعد من أسمى المعاهدات المتسامحة وأجلها في التاريخ، جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، لولا من شئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.."[5]، وقد "روي أن الرشيد سأل مالكا في رجل شتم النبي ﷺ وذكر له أن: فقهاء العراق أفتوه بجلده، فغضب مالك، وقال: يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها، من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب النبي ﷺ جلد"[6].

الإسلام والإنتهاكات الحقوقية له

جدور الصّراع وطرائقه

---

[3] الحاكم، **المستدرك**، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج3، ص114.

[4] محمد بن عمر الواقدي، **فتوح الشام**، (بيروت: دار الجيل، د ت)، ج 1، ص 8.

[5] أبي جعفر بن جرير الطبري، **تاريخ الطبري**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار المعارف، ط2، د.ت)، ج3، ص 609.

[6] أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب**، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 1401هـ/ 1981م)، ج2، ص 356.

لقد أوجدت الحروب الصليبية (1095م- 1291م) حاجة كبيرة وملحة للحصول على صورة تبين الصفة الكريهة للإسلام. وهذا الذي حدث، حيث إن الكُتّاب اللاتينين الذين أخذوا بين عام 1105م و1140م على عاتقهم إشباع هذه الحاجة، أخذوا يستهدفون تشويه حياة محمد دون احتراز، فأطلقوا العنان "لجهل الخيال المنتصر" كما جاء في كلمات ر .و .ساوثرن (QR.W.Southern) فكان محمد في عرفهم ساحرا هدم الكنيسة في أفريقيا، وفي الشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية[7]، ونجد اليهودي (Diderot) محرر الموسوعة الفرنسية يقول عن الرسول ﷺ بأنه: "... قاتل رجال، خاطف نساء، وأكبر عدو للعقل الحر"[8]، وفي الثاني عشر من أيلول 2006م ألقى البابا بينيدكت السادس عشر محاضرة على مدرج جامعته في ألمانيا قال فيها: "إنّ العقيدة الإسلامية تقوم على أساس أن إرادة الله لا تخضع لمحاكمة العقل ولا المنطق. ثم إن محمدا لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني، كأمره بنشر الإسلام بحد السيف"[9].

حرق المصحف الشريف وإنتاج الأفلام المسيئة للإسلام

بعد أحداث 11سبتمبر2001م صار تقليدا عند بعض المتعصبين فى أمريكا بث دعايات ضد الإسلام. وقبل عامين أي في سنة 2009 في نيويورك، أقام القس تيري جونز (Terry Jones) ضجة عندما هدد بحرق نسخ من المصحف[10]، ونفس الشيء فعله القس فريد فيليبس (Fred Phillips) ، قس كنيسة ويستبورو بابتيست(The

---

[7] انظر جوزيف شاخت، كليفورد بيزورث، **تراث الإسلام**، ترجمة: محمد زهير السمهوري، وآخران، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، د.ط، د.ت)، ج1، ص33، 34.

[8] علي مصطفى حسن، **اليهود هم العدو فاحذرهم**، (باتنة: دار الشهاب، د.ت، د.ط)، ص52.

[9] محمد راتب النابلسي، **الرد على البابا**، (موسوعة النابلسي: خطبة الجمعة الإذاعية بسوريا، مسجد بني أمية الكبير،رقم 75، 2006/9/22م).

[10] **لكي لا تخطئ الاحتجاجات هدفها**، (الشرق الأوسط، ع 12349، 19 سبتمبر2012م)

Westboro Baptist Church) في 13- 9-2010، ليعود تيرى جونز (Terry Jones) ليشارك في انتاج الفلم المهين للنبي ﷺ والإسلام الذي سبق الإشارة إليه، ويقدم مشاهد تعتبر الإسلام دينا دمويا، وتسيء إلى الرسول ﷺ. وهو الفيلم الذى أثار غضب المسيحيين والمسلمين على حد سواء، وقد حرص أقباط مصر في الداخل والخارج على إدانته بالفعل وليس بالادعاء، وذلك بأن خرجوا في مظاهرات منددة بهذا الفلم الذي يصب في تفريق الشمل بين الأقباط والمسلمين في مصر خاصة ويذكي الأحقاد بين الشعب الواحد[11].

بين المؤامرة والقصور الداخلي

أراد الباحث هنا بسط واقع المسلمين وتعاملهم فيما بينهم من جهة، وعلاقتهم بغيرهم من جهة ثانية، مبتدرا الحديث عن حقيقة التكالب على المسلمين الذي أدى بهم إلى الضعف؛ هل سببه الواقع الخاص بالمسلمين أنفسهم؟ أم هي مؤامرة من خارج حدود المسلمين؟ ثم تعرض إلى مدى اعتبار الحرية في التعامل مع الآخر.

1: حقيقة المشكلة

أولا: إن المشكلة الحقيقية تكمن في الداخل، فدوافعها داخلية ابتداء وإن كان هذا لا يبرئ ذمة الخارج من الاستفزازات المقصودة والمتكررة لمشاعر المسلمين وذلك لدفعهم نحو تصرفات غير عقلانية، وإن كان احتجاجات الشعوب داخل دولها كان بقطرة الخارج التي أفاضت الكأس إلا أنها في الحقيقة تعبيرا عن السخط من السياسات الداخلية للشعوب العربية والإسلامية، وإن كان هذا الدافع جدير بخروج هؤلاء للتعبير

[11] أنظر أكرم القصاص، **الإساءة للرسول ... ومؤامرة الأغبياء**، (موقع: مغرس، 2012/09/12م).

عن سخطهم إلا أن المساس بالمقدسات الدينية للمسلمين محفز أكبر للمسلمين ومشاعرهم لأنهم يعتبرون ذلك من المقدسات الدينية التي يجب أن تكون بعيدة عن طائلة هؤلاء المتربصين بالإسلام.

ثانيا: هناك سبب حقيقي ومزمن يقف وراء هذه الاحتجاجات، وهو أن السياسات الغربية، وبخاصة الأمريكية، تجاه العرب والمسلمين سياسات متحيّزة دائما، وعدوانية أحيانا، ولكن يتصل بهذا السبب معطى آخر، وهو ضعف عربي وإسلامي ترتب عليه قصور في التأثير في تلك السياسات وتداعياتها. في إطار هذه المعادلة لم يعترف العرب والمسلمون على المستويين الرسمي والشعبي بدورهم أو مسؤوليتهم تجاه ما يحدث لهم على يد الغرب.

ثالثا: لا شك أن الإسلام، والدول الإسلامية، بما فيها العربية، وهي قلب العالم الإسلامي، مستهدفة ليس فقط بسبب دينها، ولكن بسبب موقعها الجغرافي الذى يتوسط العالم، وبسبب مواردها الطبيعية وعناصر القوة التى تملكها، وخصوصا النفط والمال. وهذا الإستهداف يتطلب امتلاك عناصر القوة، وتفعيلها فى خدمة المحافظة على الإسلام، والمحافظة على هوية الدول الإسلامية.

رابعا: إن الأمة الإسلامية اليوم تمر بحالة مخاض عسير، أقل ما يمكن أن يوصف به أنه بداية بزوغ فجر جديد وميلاد أمة بعد طول غفوة، وكبوة. فبعد أن نامت ها نحن نرى إرادتها قد تحركت وصبغتها قد برزت ابتداء من ميادين التحرير مرورا بميادين الجهاد والاستشهاد .. ومع تمدد وتصاعد وتيرة المطالبة بتحكيم الإسلام تواصلت الحملات ضد الإسلام ، فشاهدنا العجز الفكري والانهزام النفسي قد برز في شكل شتم وسب وتصوير لنبي هذه الأمة وأعظم ما لديها في هذه الحياة الدنيا. ولعل القصد من هجوم أعداء الإسلام على هذا الدين الحنيف أن يدفع المسلمين إلى التطرف، لأن

تطرف الغرب وإرهابه الدولي والمنظم يحتاج إلى تطرف إسلامي مستمر، ليكون تبريرا لمتابعة خططه التي لا يستطيع إعلانها[12].

2: حدود الحرية

إنّ الحرية حق مهم، ولكن هناك خيطا رفيعا جدا بين الحق والحرية في التعبير، وهي مسألة تطرق إليها أهم مفكري الغرب نفسه مثل الفرنسي فولتير (Voltaire) حينما قال: "حريتك الشخصية مكفولة حتى تصل إلى حدي أنا".[13] فهذه مسألة تستند إلى نصوص دستورية ملزمة، لكن تخص الداخل فقط (الداخل الأميركي أو الفرنسي مثلا)، وعندما يحدث احتكاك أو صدام مع الخارج يسيطر التصور الثقافي السائد على مواقف عنصرية أو إثنية، وفي نظام سياسي يقوم على توازنات كثيرة ودقيقة ومصالح متداخلة، ويتمتع الدستور فيه بإلزامية لا محيد عنها، تصبح هذه المسألة حساسة، وفي الوقت نفسه قابلة للمساومة. لاحظ مثلا أن القانون الفرنسي يجرّم إنكار الهولوكوست Holocaust[14]، وهنا يبرز التناقض: يجوز إنكار وجود الله، لكن لا يجوز إنكار الهولوكوست Holocaust [15]!

كما أن للحرية خطوطا حمراء تقف ضد إهانة الرموز الدينية، فالكثير يتذكر الموقف الحازم الذي اتخذته المستشارة الألمانية ميركل (Angela Mercel) وأمرت بوقف عرض فيلم سينمائي كان به إساءات شديدة جدا بحق المسيح عليه السلام، وكذلك الأمر في حقبة الثمانينات حينما تم إيقاف رسم كاريكاتيري في صحيفة (أتلانتا

---

[12] أنظر النابسلي، **الرد على البابا**، (مسجد بني أمية الكبير، خطبة الجمعة المنقولة من إذاعة سوريا، 2006/09/22م)، ص 13.

[13] حسين شبكشي، **في الحرية والمقدس**، (الشرق الوسط، العدد 12343، الخميس 27 شوال 1433 هـ 13 سبتمبر 2012)

[14] محمد أبو رمان، **الغضب من أجل الرسول**، (جريدة الغد الأردنية، 2012/9/4م)

[15] خالد الدخيل، **نحن والغرب... إشكالات الدساتير والأديان**، (الوفد، البوابة الإلكترونية، 23 سبتمبر 2012م).

كونستيتيوشن The Atlanta Journal Constitution)[16] يصور السيد المسيح كإرهابي وعلى رأسه إكليل من أصابع الديناميت[17].

الرّدّ الإسلامي بين صحائف المصحف وصفائح السيوف

نريد أن نبين هنا تفرق آراء المسلمين حول كيفية المواجهة بين الطرق السلمية وبين طريق العنف الذي صار وسام هذه الأمة، التي ما إن تذكر إلا ويردف إسمها به فأردت في هذا المبحث بيان سبل المقاومة ومناهج مواجهة هذه الهجومات بحكمة تتضمن معنى القوة وذلك من خلال ما سوف يأتي:

1- اتباع منهج القرآن: من المعلوم أن أهل مكة وصفوا النبي ﷺ بأوصاف لم تكن متحققة في شخصه ﷺ نحو شاعر ومجنون...، وعلى الرغم من ذلك، وتطبيقا للمنهج القرآني الذي أمره الله عز وجل فيه بعدم الذود عن نفسه والرد وكفاه مؤنة ذلك بقوله: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾. [الحجر:95]، فحينما نعت النبي من قبل الكفار بأنه شاعر جاء الرد من الله عز وجل في قرآنه الكريم قوله: ﴿**أَوَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مّا تُؤْمِنُونَ** ﴾. [الحاقة:41]، فقالوا مجنون فرد أحكم الحاكمين بقوله: ﴿**وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** ﴾. [التكوير:22]، فكان في كل مرة يتولى القرآن الرد على إساءة الكافرين والمشركين للحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. ولنتدبر هذه الردود كيف جاءت سلسة، مرنة، بسيطة، ترد على ادعاءاتهم بحجج دامغة، لا تكلف فيها، ولا عصبية. فواجب الأمة اليوم أن تتبع المنهج القرآني في الذوذ عن نبيها الحبيب المصطفي صلوات ربي وسلامه عليه، وقد يقول متقول أين القرآن ليرد على المتقولين؟ فنقول: إن القرآن الكريم معجز في كل زمان ومكان، ولو سلمنا بما قلتم لذهب ثلثي

---

[16] صحيفة تصدر في منطقة أتلنتا بالولايات المتحدة.

[17] حسين شبكشي، **في الحرية والمقدس**.

هذا الدين ولم يبقى له أثر. فالرد بالقرآن في اتباع المنهج؛ أي أن تكون الردود علمية دامغة، ساطعة بالحق، على نحو: لو قيل لكم أنتم دمويون. قلتم نعم نحن تسفك دماؤنا ظلما وعدوانا في كل أصقاع الأرض.

2- معرفة لبّ المطالب: بدأت ردود الفعل في العالم الإسلامي، بالشجب، والاستنكار، وبالمظاهرات والتعدي على من لا ذنب له..، ونحن نعتقد أن هذا الأسلوب لا يليق بأمة لها شهودها على الأمم، وفيها أكثر من مليار ونصف المليار من الأنفس، ونعتقد أن ما حدث في العالم الإسلامي يقزّم حجمنا، ويؤكد الصورة التي يريدها لنا أعداؤنا سواء في الداخل أو في الخارج، ويقلل من قدسية ديننا، فلابد من رعاية أخلاقيات الإسلام في التعامل في مثل هذه الحالات، فلا يجوز التعميم ولا معاقبة البريء؛ لمقارعة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، فهذا من حقنا، بل هو واجب علينا، فمثل هذه الإتهامات الظالمة للإسلام؛ بالعنف، والتطرف، والإرهاب، التي تصدر من جهات إعلامية من كتَّاب وصحفيين من الصف الرابع ألفناها ومللناها، مثل: "(ما مدى خطورة الإسلام؟)، و(شباب الله الغاضبون)، و(القرآن دليل لصناعة القنابل).. لمجلة شتيرن stern magazine عام 2007م، و(شركة الإسلاميين في ألمانيا المساهمة)، و(كيف يخطط المتعصبون للإرهاب) لمجلة فوكوس focus magazine عام 2009م"[18]، فمن عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به. ومن هنا وجب أن نعرف مطالبنا حقيقة لا إدعاء. فبعض ما يطالب به المتظاهرون، لا يتناسب مع مقومات هذا الدين، في إطار السيادات الوطنية؛ من قبيل المطالبة بمعاملة الأديان على حد سواء، وخلاصة ذلك تساوي الأديان، وهل الدين الإسلامي يقبل بمثل هذه المساواة؟ طبعا لا؛ لأنه وبكل بساطة دين حق، ولأن الدسور القرآني من خلال آياته لا يقبل بذلك؛ فالله عز وجل يقول: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ**

[18] نبيل شبيب، **قراءة في كتاب: صورة المسلم العدائية "الإسلاموفوبيا.. كيف يصنع في ألمانيا**، (شبكة الحوار نت الإعلامية، 2/21م2010م).

الْخَاسِرِينَ﴾. [آل عمران: 85]، ومع ذلك تجد مثل هذه المطالب احتوت عليها الشعارات والهتافات، فالحذر ثم الحذر.

3- الاستعانة بردود بني جلدتهم: ومما لا يخفى على أحد، أنه لا يوجد ظَلَمَةً إلا ووجد من بينهم عدول ينصفون المظلومين ويدافعون عنهم، كذلك الشأن في أمرنا هذا؛ فقد انبرى للذَّوذ عن حمى رسول الله ﷺ ألسن من أنفسهم تنطق بكلمة الحق التي شاء الله لها أن تصدع في أرجاء هذه المعمورة التي ملأها الطغاة افتراءات وأكاذيب، ليأتي هؤلاء ويقولوا للعالم بأسره ما هذه إلا سحابة صيف ولسوف تنجلي بأمر الله عز وجل وفضله.

ففي عام 1978 ألَّف الباحث الفلكي الأمريكي مايكل هاردت (Michael) Heart كتاب: "المائة الأوائل في تاريخ البشرية The First One Hundred in the Human History"، وقد اختار من عظماء العالم في الشرق والغرب، قديما وحديثا، آلاف الشخصيات، واختار من الآلاف مائة عدها من الأوائل، وجعل النبي محمدا عليه الصلاة والسلام على رأس هذه المئة[19].

وفي مقالة للفيلسوف الروسي تولستوي (Tolstoy) بعنوان: "من هو محمد Who was Muhammad" جاء فيها: "إن محمدا هو مؤسس، ورسول، وكان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، ومنعها من سفك الدماء، وفتح لها طريق الرقي والمدنية"[20].

وجاء على لسان الكاتب البريطاني المعروف ميلر (Miller) إذ يقول: "بزوغ بعثة محمد ﷺ وسطوع شمس الإسلام، أثبت هذا النبي أن دعوته موجهة للعالمين، وأن

---

[19] وجاء على لسانه: "أن اختياري محمدا ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح على المستويين الديني والدنيوي".www.muslim-day.com/Articles

[20] **ماذا قالوا عن الإسلام ومحمد سيد الخلق النبي الكريم؟** مجلة مغاربة ضد التنصير. (موقع: www.mdtpress.com).

هذا الدين المقدس يناسب كل عصر وكل عنصر وكل قومية". وقد كتب الكاتب الفرنسي كورسيه (Coursie) ما نصه: "عندما نهض محمد بدعوته، وقبل وبعد انطلاق بعثته كان شابا، شجاعا، شهما، يحمل أفكارا تسمو على ما كان سائدا من أفكار في مجتمعه، وقد تمكن محمد بسمو أخلاقه من هداية عرب الجاهلية المتعصبين الذين كانوا يعبدون الأصنام إلى عبادة الله الواحد الأحد.. محولا المجتمع العربي الجاهلي إلى مجتمع راق ومتحضر". وقد خصص الفيلسوف البريطاني توماس كاريل من كتابه فصلا لنبي الإسلام، بعنوان "البطل في صورة رسول"، عدّ فيه النبي ﷺ واحدا من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ، حيث قال فيه: "ووالله لقد كانت في فؤاد ذلك الرجل الكبير، ابن القفار والفلوات، المتورد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمة، وخيرا، وحنانا، وبرا، وحكمة"[21]، فكل هذه الإعترافات جديرة بأن تهدِّئ من روعنا، وتثلج صدورنا، لنفكر مليًّا، وبهدوء، عن الخطة الحكيمة التي من خلالها ننهض بهذه الأمة، ونرفع عنها الظلم والعدوان، وهذا ما سيتعرض له الباحث فيما يلي.

ثالثا: حماية المقدسات الدينية بين الدساتير الدولية وحرية الرأي

نصوص القانون الدولي والمواثيق الدولية الحامية لحقوق الإنسان لم تنص صراحة -بقصد أو بدون قصد- على حماية الرسل والأنبياء، وتجريم التطاول عليهم؛ وهذا لأن العمل البشري دائما مشوب بالنقص والسهو والخطأ.

المواثيق الدولية لحقوق الإنسان في العصر الحديث

تضمنت وثيقة إعلان الاستقلال الأمريكي سنة 1776م ما يعد من حقوق الإنسان، بتأكيدها على الحق في الحياة، والحرية، والمساواة. كما أصدرت الثورة الفرنسية وثيقة إعلان حقوق الإنسان في 1789/8/26م، وهي تعد إعلانا عن هذه الحقوق.

---

[21] النابسلي، **الرد على البابا**، (موسوعة النابلسي: خطبة الجمعة، مسجد بين امية الكبير، سوريا، 2006/9/22م).

وهكذا سبقت هذه المواثيق، الميثاق العالمي لحقوق الإنسان[22]، ويعد الميثاق العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10/ 1948/12م، تتويجا لكفاح الشعوب، واعترافا عالميا بحقوق وحريات الشعوب[23]، وقد صدر الميثاق بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بسنوات قليلة.

لقد كان القصد من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، أن يكون نموذجا عالميا مشتركا لكل الشعوب؛ حتى تتعزز مكانة حقوق الإنسان، فيكون مجرد خطوة، يجب أن تتبعها صياغة لقانون دولي لحقوق الإنسان، يكون له قوته الإلزامية، وعملت هيئة الأمم المتحدة، على أن يتحول ما ورد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إلى اتفاقية دولية، وفي هذا الاتجاه تم إنجاز اتفاقيتي الحقوق الاجتماعية، والاقتصادية، والمدنية والسياسية، وصدرت الاتفاقيتان في 1966/12/16م، وبدأ نفاذهما عام 1976م. وإلى جانب هاتين الاتفاقيتين، فإن الاهتمام بقضية حقوق الإنسان ظهر في اتفاقيات عديدة، مثل: الاتفاقية الدولية لإزالة التمييز العنصري، واتفاقية حقوق الطفل، واتفاقية حماية حقوق العمال المهاجرين. وقد تم العمل والممارسة في التصدي لموضوع حقوق الإنسان على المستوى العالمي، عبر إطارات متعددة في هذا المجال، وعلى رأسها الجمعية العامة للأمم المتحدة، والمنظمات الإقليمية، مثل: جامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي, وغير ذلك[24].

المواثيق الدولية المحرِّمة للإعتداء على الرموز الدينية

[22] عبد الله عبد المحسن التركي، **حقوق الإنسان في الإسلام**، (السعودية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1419هـ)، ج1، ص 10.

[23] أنظر محمد صبحي يوسف، **الرأي العام وأثره في التنظيم السياسي وحماية الدستور**، (د.م: مطبوعات جامعة عين شمس، د.ط، 1990م)، ص 208.

[24] المرجع نفسه، ج1، ص 19.

إن التطاول على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومحاولة النيل من مقامهم الشريف من المنكرات في عرف الناس، وعلى اعتبار أن للأنبياء أفضلية، وقداسة على غيرهم، مما يجعل تلك الأحكام بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أولى، ومن أهم تلك المواثيق ما يلي:

1- الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان المنعقدة في روما في نوفمبر 1950م، والتي تهدف إلى تحقيق المزيد من حماية حقوق الإنسان، والحريات الإنسانية، ورعايتها، وتفصيل ما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ونصت المادة الخامسة منه: على أن لكل إنسان الحرية، والأمن الشخصي. وكفلت المادة الخامسة عشر: التمتع بالحقوق، والحريات المقررة دون أي تمييز سواء بالجنس، أو اللون، أو العقيدة، أو اللغة[25]، ومن ثم لا يجوز لإنسان أن يسخر من إنسان آخر من أجل لونه، أو جنسه، أو عقيدته.

2- إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، والذي اعتمدته الجمعية العامة في 20 نوفمبر 1963م، وقد جاء في مقدمته أن الجمعية العامة للأمم المتحدة ترى أن ميثاق الأمم المتحدة يقوم على مبدأي الكرامة لجميع البشر، وتساويهم.

3- إعلان طهران الصادر في 13 مايو 1968م، الذي أعلن على الملأ رسميا:

نصت المادة الأولى على: "أن التمييز بين البشر بسبب اللون، أو الأصل إهانة للكرامة الإنسانية، ويجب أن يدان، باعتباره إنكارا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وانتهاكا لحقوق الإنسان، والحريات الأساسية المعلنة في الإعلان العالمي. وفي المادة الثانية نص على: يحظر على أي دولة، أو مؤسسة، أو جماعة، أو فرد أي تمييز كان في ميدان حقوق الإنسان، والحريات الأساسية، في معاملة الأشخاص أو المؤسسات بسبب العرق أو

[25] محمد شرف، **الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان**، (القاهرة: دار الشروق، د.ط، 2003م)، ج2.

اللون أو الأصل. وفي المادة الخامسة: أن الهدف الرئيسي للأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان أن يتمتع كل إنسان بأقصى الحرية والكرامة بصرف النظر عن عنصره، أو لغته، وديانته، أو معتقده. وفي المادة الحادية عشرة: أبدى الإعلان استياءه عما يترتب على التمييز العنصري الذي يكون أساسه الدين، أو المعتقد، أو أي صورة أخرى"[26].

4- إعلان فيينا الصادر عن المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان، والمعقود في فيينا في الفترة من 14- 25 يونيو 1993م، والذي أكد التزام جميع الدول بالمقاصد، والمبادئ الواردة في ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والتي دعا فيها إلى نبذ التمييز العنصري الذي يقوم على أساس العرق، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين[27].

5- إعلان الأمم المتحدة بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب، والتمييز القائمين على أساس الدين، أو المعتقد والمؤرخ في نوفمبر 1981م، وقد نص على أن الجمعية العامة للأمم المتحدة تضع في اعتبارها أن: الدين، أو المعتقد هو لكل امرئ يؤمن به أحد العناصر الأساسية في تصوره للحياة، وأن من الواجب احترام الدين، والمعتقد، وضمانهما بصورة تامة[28].

6- إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام، والذي تم إجازته من قبل مجلس وزراء منظمة مؤتمر العالم الإسلامي في أغسطس 1990م، والذي نوه في المادة العاشرة أنه لا يجوز ممارسة أي لون من الإكره على الإنسان أو استغلال فقره لتغيير دينه... وفي المادة الثانية والعشرين نص على ما يلي:

---

[26] مجموعة صكوك دولية –حقوق الإنسان المجلد الأول– الأمم المتحدة نيويورك، 1993م، ص 69 –العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية– المعتمد بقرار الجمعية العامة رقم 2200، والمؤرخ في ديسمبر 1996 م، المنعقد للعمل به في يناير 1968م المادة الثانية من الجزء الثاني فقرة 2.

[27] انظر:وثيقة الأمم المتحدة، ص20 وما بعدها. A/ CONF> 15724PART-1.

[28] انظر:حقوق الإنسان – مجموعة صكوك دولية، ج1 –الأمم المتحدة نيويورك، 1993م، ص 168، المادة الثانية من قرارات محكمة العدل الدولية المؤرخ في ديسمبر 1984م.

– لكل إنسان الحق في التعبير بحرية عن رأيه بشكل لا يتعارض مع المبادئ الشرعية.

– الإعلام ضرورة حيوية للمجتمع، ويحرم استغلاله وسوء استعماله والتعرض للمقدسات وكرامة الأنبياء فيه، وممارسة كل ما من شأنه الإخلال بالقيم أو إصابة المجتمع بالتفكك أو الانحلال أو الضرر أو زعزعة الاعتقاد[29].

– اجتماع لجنة حقوق الإنسان في الدورة السادسة والخمسين بشأن تشويه صورة الأديان. أشارت في قرارها الصادر في أبريل 1999م أن التمييز العنصري على أساس الدين، أو المعتقد، وأن ذلك يمثل إهانة وامتهانا لكرامة الإنسان، وانتهاكا لحقوق الإنسان، وتنكرا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة[30].

– الميثاق العربي لحقوق الإنسان، والذي اعتمد ونشر بموجب قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم (5427) المؤرخ في 15سبتمبر 1997م. والذي نص في المادة الثانية منه على أن لكل دولة الحق بأن تكفل لكل إنسان موجود على أرضها، وخاضع لسلطانها حق التمتع بكافة الحقوق، والحريات الواردة في ميثاق الأمم المتحدة دون أي تمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الدين، أو الرأي السياسي، أو الأصل الوطني، أو الاجتماعي، أو أي وضع آخر. وهذا معناه أن: التطاول على الأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام والرموز الدينية من شأنه أن يعكر صفو الحياة..مما يجعل ذلك السلوك مخالفا لهذه المواثيق الدولية لحقوق الإنسان[31].

– نص القانون العراقي في قانون العقوبات رقم 11 لسنة 1969م على تجريم الفعل الذي فيه تطاول، واعتداء على رمز ديني، أو شخصية دينية لطائفة معينة. وحدد قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 23 لسنة 1971م من له الحق في تحريك الشكوى

---

[29] نقلا عن موقع المركز العربي الإقليمي للقانون البيئي، إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام.

[30] وثيقة الأمم المتحدة، الجلسة 67، المنعقدة في 26 أبريل 2000م، الدورة السادسة والخمسين القرار 84/2000.

[31] نقلا عن: فهرس حقوق الإنسان، الميثاق العربي لحقوق الإنسان.

بذلك في المادتين 47، 48 واتخاذ الإجراءات القانونية بحق من يرتكب مثل هذه الأفعال[32].

– في منتصف أيار/مايو 2012، أعلن مسؤولون برلمانيون أن نواب البرلمان قاموا بصياغة مشروع قانون لعرضه على التصويت في إقليم كردستان الذي يتمتع بحكم ذاتي. ومشروع القانون ينص على عقوبة بالسجن لمدة عشر سنوات وإغلاق وسائل النشر وفرض غرامات مالية بسبب جرائم فضفاضة الصياغة من قبيل تصوير الانبياء بشكل غير لائق[33]، وقد اعتبرت هيومن رايتس ووتش أن مشروع القانون الذي يجرم (سب الذات الإلهية والتهكم عليها) وسب وإهانة وتصوير الأنبياء بشكل غير لائق، لا يحتوي على أي معايير للتفريق بين التعبير المسموح به والتعبير الذي فيه إساءة أو إستهزاء أو إعتداء على المواضيع الدينية[34].

– هناك مادة اقترحها الأزهر على لجنة إعداد الدستور تحت اسم مادة الذات الإلهية تقول الآتي: "الذات الإلهية مصونة ويحظر المساس بها، وكذلك ذوات أنبياء الله وأمهات المؤمنين والخلفاء الراشدين والصحابة"[35].

– وافق مجلس الأمة الكويتي في شهر أبريل 2012 على مشروع تعديل بقانون الجزاء، يتضمن معاقبة كل من تثبت إدانته بتهمة (المساس بالذات الإلهية)، أو (الطعن في مقام الرسول الكريم، وعرض أزواجه)، بعقوبة الإعدام[36].

---

[32] أنظر سالم روضان الموسوي، **رجل الإعلام وحق النقد في التشريع العراقي**، (الحوار المتمدن، العدد 3008، 2010/5/18م).

[33] بدأ الحديث عن مشروع القانون بعدما تظاهر آلاف الأشخاص في اربيل عاصمة كردستان العراق في 8 ايار/مايو/2012م تعبيرا عن استنكارهم لقيام مجلة بنشر مقالة اعتبروها مسيئة للاسلام. وتجمع المتظاهرون أمام مقر البرلمان الكردي احتجاجا على مقالة صدرت في مجلة "الهمسة" الشهرية تضمنت حوارا افتراضيا بين كاتبها رئيس التحرير هلت غوراي والله، الأمر الذي سارع رجال دين إلى اعتباره مسيئا للإسلام.

[34] هيومن رايتس تنتقد مشروع "حماية المقدسات في إقليم كردستان"، نقلا عن: (موقع: صوت العمال، العراق، 22 يونيو 2012).

[35] ممثل الأزهر بالتأسيسية: **"تحصين الأنبياء وأمهات المؤمنين لا يعتبر ضد الإبداع"** (موقع فرسان السنة، 2012/9/7م).

[36] نقلا عن وكالة الأنباء"كون"، الإعدام بالكويت لكل من يسيء للذات الإلهية أو للرسول وأزواجه (موقع الفجر: 13 أبريل2012م).

– أما في المغرب فالعقوبة تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات لمن أعتُبر أنه قد مس بالدين الإسلامي بحسب الفصل الواحد والأربعون من قانون الصحافة[37].

– أصدر اتحاد الناشرين العرب بيانا على هامش اجتماعاته بالقاهرة بشأن الفيلم المسيء للإسلام، وللرسول الكريم محمد ﷺ،[38] مطالبا فيه بإضافة مادة جديدة فى ميثاق الأمم المتحدة تجرم الإساءة إلى الأنبياء والرسل والاعتداء على المقدسات الدينية؛ حتى يسود السلام والأمن أرجاء العالم[39].

– طالب الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز الامم المتحدة يوم 27 أكتوبر/تشرين الأول 2012، ثاني أيام عيد الاضحى المبارك، بإقرار مشروع يدين كل من يتعرض للديانات السماوية والأنبياء. حيث قال: "أطالب هيئة الأمم المتحدة بمشروع يدين أي دولة أو مجموعة تتعرض للأديان السماوية والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا واجب علينا وعلى كل مسلم تجاه الذود عن حياض ديننا الإسلامي والدفاع عن رسل الحق"[40].

حماية المقدسات الدينية في دساتير الدول[41]

---

[37] نقلا عن الجريدة الرسمية العدد 5075، 2003/1/20م، قانون الصحافة والنشر (موقع النقابة الوطنية للصحافة المغربية).

[38] الفيلم بعنوان "براءة المسلمين" تم تمثيله في يوليو/تموز 2011م، الذي حمل في البداية عنوان "محارب الصحراء"، أخرجه وأنتجه في الولايات المتحدة سام باسيل (54 عاما) وهو مخرج هاو إسرائيلي . أميركي من جنوب كاليفورنيا، (موقع: بالعربية،13 تشرين الأول/أكتوبر 2012).كما أعلن أرناود فان دورن السياسي السابق في حزب الحرية الهولندي وأحد المشاركين في إنتاج الفيلم المسيء للإسلام، عزمه بعد إعلان إسلامه إنتاج فيلم يدافع فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في أعقاب عمرة قام بها وزيارة للمدينة المنورة، (موقع إيبا، 24 أبريل 2013م).

[39] الناشرون العرب، **"قانون لمنع إهانة المقدسات"**، (يومية القدس الكويتية، العدد 12123، 23 سبتمبر 2012م).

[40] العاهل السعودي يطالب بمشروع يدين التعرض للديانات والأنبياء ويدعو إلى التعايش بين المذاهب، (أخبار الخليج، العدد12637، 2012/10/28م)

[41] أنظر لعلي بحياوي، **حماية المقدسات الدينية عند الدول غير الإسلامية دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الجنائي** (باتنة: جامعة الحاج لخضر، رسالة ماجيستير، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية، 2009م/2010م).

إن مسألة الحرية الدينية ليست متعلقة دائما بما يطرأ من مستجدات، فنجد أن بعض الدول قد راعت في تشريعاتها بعض الحريات ومن بينها حرية الفكر والعقيدة، وهذا ما سيتضح لنا من خلال ما يأتي:

1- حماية المقدسات الدينية في الدستور الفرنسي

إن الثورة الفرنسية قد شملت في طياتها حق الشعب الفرنسي في حرية التعبير والفكر واعتناق العقيدة التي يقتنع بها، فقد كفل إعلان حقوق الإنسان الصادر عام 1789م هذه الحرية للمواطنين، حيث تضمنت المادة العاشرة من هذا الإعلان حرية الفرد في ممارسة شعائره الدينية، فلا يجوز أن يجبر على ممارسة شعائر ديانة لا يؤمن بها، كما يملك كل فرد الحق في أن يمارس الشعائر والطقوس التي يحصل بها التعبير الخارجي للعقيدة التي يؤمن بها طالما لم يكن في هذا التعبير ما يخل بالنظام العام المقرر بالقانون. وقد نص الدستور الصادر في سنة 1958م على أن فرنسا جمهورية علمانية تكفل المساواة أمام القانون دون تمييز في ذلك بسبب الأصل أو الجنس أو الدين، وهي تحترم كل المعتقدات[42].

2- حماية المقدسات الدينية في الدستور الانجليزي

من المعلوم أنه ليس في انجلترا دستور مكتوب إلا أن ذلك لا يترتب عليه إهدار حق من الحقوق أو حرية من الحريات المنصوص عليها في إعلانات الحقوق[43]، إذ

---

[42] عطية، نعيم، **إعلانات حقوق الإنسان والمواطن في التجربة الدستورية الفرنسية**، مجلة إدارة قضايا الدولة، السنة 26، لسنة 1972، ص 655.

[43] أنظر محمد حسن طوالبة، **حقوق الإنسان في الاعلانات والدساتير الدولية**، (الحوار المتمدن، 13، 2، 2013م).

إن العهد الأعظم لسنة 1215م ضد الظلم والطغيان[44]، ووثيقة الحقوق لسنة 1688م كلاهما تعتبر وثيقة تعبر عن مبادئ تضفي عليها ظروف إصدارها قداسة تجعل المشرع يتردد في المساس بها، بالإضافة إلى ذلك فإن الحريات العامة ومنها حرية العقيدة وحرية الرأي والتعبير أصبحت متأصلة في نفوس الشعب الانجليزي[45].

3- حماية المقدسات الدينية في الدستور الأمريكي

إن الحرية الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية ازدهرت في عهد توماس جفرسون Thomas Jefferson أحد مؤسسي الجمهورية الأمريكية، الذي ارتبط اسمه بالحرية الدينية، حيث يرى أن فلسفة الديمقراطية مبنية على حرية العقل والروح[46]، وإذا كان الدستور الأمريكي يحرص على حماية حرية العقيدة والمقدسات الدينية فإن المحكمة العليا الأمريكية أشد حرصا منه على حماية هذه المقدسات[47]، وبالرغم من تأكيد الدستور الامريكي على العلمانية وفصل الدين عن الدولة، إلا إن الدين يمثل عنصرا أساسيا من عناصر خصوصية المجتمع الامريكي[48].

4- حماية المقدسات الدينية في الدستور الجزائري

كما أن الجزائر انضمت للعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية[49]، وباعتبارها دولة إسلامية فقد حددت قواعد ممارسة الشعائر الدينية لغير المسلمين في الجزائر بموجب الأمر الذي ينص في مادته الثانية على أن الدولة الجزائرية التي تدين

---

[44] وتسمي الماگنا كارتا Magna Carta كلمتان لاتينيتان، معناها في العربيّة العهد الأعظم. أول وثيقة دستورية في التاريخ ، وهي وثيقة ملكية بريطانية التزم فيها الملك جون بالقانون الإقطاعي والمحافظة على مصالح النبلاء في عام1215م. (Online Encyclopedia Britanica In Magna Carta).

[45] أنظر عبد السلام الترمانيني، **حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية**، (بيروت: دار ابن كثير، ط 2، 1418هـ . 1997م)، ص 101.

[46] أنظر توماس – جفرسون/www.marefa.org/index.php

[47] أنظر حرية الدين والعقيدة الدينية، brob.org/old/tasleia/makala/makala10.htm

[48] أنظر مثنى فائق مرعي العبيدي، **البعد الديني في الحرب الأمريكية لاحتلال العراق**، (مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد الرابع، السنة الأولى).

[49] بموجب المرسوم الرئاسي 89/67، المؤرخ بالجزائر في 1989/5/16.

بالإسلام وتضمن حرية ممارسة الشعائر الدينية في إطار أحكام الدستور، والتسامح والاحترام بين مختلف الأديان. أما المادة الرابعة فنصت على حظر استعمال الانتماء الديني كأساس للتمييز ضد أي شخص أو جماعة. كما نصت المادة السابعة منه على أن تتم الممارسة الجماعية للشعائر الدينية في البنايات المخصصة لذلك دون غيرها وتكون عامة وظاهرة المعالم من الخارج. ويعتبر وجود هذا القانون في حد ذاته تجسيدا لاحترام الجزائر لاتفاقيات حقوق الإنسان بما فيها الحقوق الدينية[50].

خاتمة وتوصيات البحث

يمكن تلخيص أهم نتائج بحث " **خاتم النبيين والهجمات الخارجية**" في الآتي:

- إن الغرب لا زالت رؤيته بالنسبة للإسلام متحيزة وغير موضوعية.
- مفهوم العلمانية مفهوم أجوف ولا يزال الغرب يتصرف بتعصب ديني.
- ضرورة إبراز فضل الأنبياء ومكانتهم في مصادرنا الإسلامية.
- ضرورة التعرف على ثقافة الآخر لتحديد طرق دعوته بصورة صحيحة علمية وعملية.

أما أهم التوصيات فيمكن تلخيص أهمها فيما يأتي:

1- تصدُّر العلماء للردود والمطالب: إنّ من إشكاليات هذه الأمة تدخل عامة أفرادها في علوم الدين وتفصيلاته، فكلٌ يفتى، وكلٌ عالم متطلع. والأصل أن هذا الإختصاص بالذات (الدين)، من أخطر الأمور التى يجب التحرز فيها، لأن فيها مهالك عاجلة في دنيا الناس، وأخرى آجلة إلى يوم لقائه عز وجل. فمطالبٌ مثل التى مرت بنا نحو المساواة وغيرها كفيلة بأن ترجع هذه الأمة إلى الخلف، بل وتمنعها من التقدم

[50] أنظر الجريدة الرسمية، للجمهورية الجزائرية، العدد 12، ص 26، 27.

والتكاثر من خلال إبطال الدعوة إلى الله والعمل بها، كما تقدم بيانه، وبالتالي تصدُّر العلماء لهذه المطالب وحتى الشعارات أمر حتم وواجب لئلا يكون هذا الدين كله عرضة للوهن والهوان.

2- قانون دولي لحماية المقدسات والرموز الدينية: لا شك أن هناك محاولات لسن قوانين تزجر المعتدين وتردهم عن الإساءة إلى هذا الدين ونبيه الكريم ﷺ، ولكن تبقى قليلة أمام هذا الزخم والكمِّ الهائل من الهجمات على دين الله ورسوله. وحتى ما سُنَّ من قوانين لا يكفل الحماية الكافية باعتبار أن هذه القوانين غير ملزمة. ومن المبادرات التي تستأهل التقدير والمباركة، ما أمر به الرئيس المصري الدكتور مرسي، سفارة بلاده أن يتخذ كافة الإجراءات القانونية ضدّ منتجي الفيلم المسيء للرسول ﷺ. فإن اتحاد القوى الإسلامية في العالم المتمثلة في الهيئات والمنظمات الإسلامية كرابطة العالم الإسلامي، أو منظمة مؤتمر العالمي الإسلامي، من خلال مقترح لعريضة قانونية دولية تجرِّم مثل هذه الأعمال كفيل بأن يلقي صدى من خلال الضغط المشترك لهذه الدول الإسلامية مما يجعل من هذا القانون ملزما يستدعي المتابعة القضائية عالميا حاله حال قانون مجرمي الحرب.

3- برامج وأفلام إعلامية: ومن بين الحلول ضمن الخطة الحكيمة انتاج برامج وأفلام إعلامية تبرز حقيقة الإسلام، كصنيع شركة النور القطرية الذي نباركه ونشجعه، حيث شرعت في التحضير لإنتاج فيلم ضخم يتناول سيرة حياة النبي محمد ﷺ، في إطار الرد على الفيلم الأمريكي "براءة المسلمين"، والذي وردت فيه إساءة للنبي ﷺ. وأفاد أحمد هاشمي، مدير شركة النور القطرية المنتجة في تصريحاته التي أدلى بها لوكالة أنباء الأناضول بأن الشركة على وشك الانتهاء من إعداد السيناريو الخاص

بالفيلم المكون من ثلاثة أجزاء، والذي خصصت الشركة لإنتاجه ميزانية قيمتها 450 مليون دولار.[51]

4- إنشاء شبكة عالمية: ومما يحتاج إليه المسلمون اليوم، وخاصة فئة الشباب منهم، شبكة تكوينيّة (تعتمد نظام التكوين عن بعد)، تجمعهم، وتوحِّد رُؤاهم، بداية بشبكة تواصل اجتماعي وليكن اسمها: (قرآن أمة بووك) يتبادل من خلالها الشباب المسلم الخبرات، والنشرات التوجيهية، الصادرة عن علماء الأمة. وكذلك ما كان من مبادرة للدكتور طارق السويدان بمشروعه الحضاري الذي يسعى إليه، ولما لا جامعات متخصصة في الدعوة والإرشاد سواء كانت مؤسساتية أو عنكبوتية من خلال النت؛ شرط أن تؤدي الغرض المنشود، كما نقترح مؤتمرات صيفية، أو مايصطلح عليه في بلادنا (الجزائر) بالجامعات الصيفية؛ وهي عبارة عن فترات تدريبية، يلتقي فيها الشباب المسلم مع بعضه البعض للتعارف وتبادل الخبرات والإعلام الواقعي من خلال الإحتكاك المباشر.

وإنا لنرجو أن نكون بعملنا هذا قد أدينا بعض الواجب، تجاه أمتنا، ونكون أرضينا ربنا، وخدمنا ديننا الإسلام، وقدمنا جهدا متواضعا وضحنا فيه جوانبا قد يغفل عنها البعض، وجوانب قد يقع فيها البعض الآخر.

---

[51] **فيلم عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم بتكلفة** 450 مليون دولار، (19/ 9/2012م/ turkeytoday.net/node/8526)